د. محمد شوقي الزين

مناهج فلسفية معاصرة

الحصة الثانية

التأويلية: النص، التأويل، الفهم

أسْـئِلَة مَبْدَئِيَة

- كيف يرتبط مفهوم النص بدلالة التأويل؟
- بأي معنى تطرح التأويلية مسألة الفهم؟
- هل الفهم هو إدراك المعنى؟
- هل الفهم مجرَّد قبض نفسي على المعنى أم له دلالة أوسع؟
- هل تتجاوز التأويلية الخاصية النفسية للفهم لتربطه بالخاصية الأنطولوجية في وجود الإنسان في العالم؟
- عناصر الدَّرس: النص، التأويل، الفهم

النَّص

- النص في اللسان اللاتيني معناه **«نسيج»** (textus)، من الفعل «نَسَجَ» (texere).
- النص كائن لغوي منسوج بالكلمات وكأنها خيوط وألياف ترتبط فيما بينها لتُشكِّل عبارات أو فقرات. النص الجيِّد هو النص المنسوج بطريقة أسلوبية وبرهانية مُثلى من أجل أفكار أو تأمُّلات نافذة. النص هو نتيجة وظائف ذهنية ولغوية تتجسَّد في خطاب: «النَّص هُوَ خِطَابٌ مُثبَّتٌ في الكِتَابَة» (بول ريكور، **مِنَ النَّص إلى الفِعْل**، ص137).
- يقتضي النص: 1. **مؤلِّفاً** له السِّيادة على نصِّه؛ 2. **دلالةً** هي قصدية المؤلِّف التي تتجسَّد في عبارات النص وتُعبِّر عن فكرة أو قضية؛ 3. **تمثُّلاً** وهو القارئ الذي يتمثَّل المعنى الذي يستخلصه من النص.
- لا ينحصر النص في العلامات التي تحيل إلى أشياء وتحتمل دلالات، بل هو نص مفتوح على وقائع، تلك التي ينطوي عليها (أحداث تاريخية مثلاً بالنسبة للنصوص الماضية) أو تلك التي يسعى لتثبيتها في الكتابة (نص معاصر).
- هكذا نتجاوز الدلالة المغلقة للنص (الشكلانية، البنيوية) نحو الدلالة المفتوحة للنص (التأويلية، نظريات التواصل).

التَّأْوِيل

- هناك مصدران لكلمة تأويل في الفكر الغربي: 1. المصدر الإغريقي وهو **Hermeneia**؛ 2. المصدر اللاتيني وهو **Interpretatio**.
- انحدرت **«الهيرمينوطيقا»** (herméneutique) من Hermeneia التي تعني الذهاب من داخل النفس إلى خارج النفس في شكل تعبير (expression)، التعبير عن أحوال النفس الباطنة.
- انحدر **«التأويل»** (interprétation) من الجذر اللاتيني Interpretatio الذي يعني الذهاب من خارج النفس وهو التعبير إلى داخل النفس لفهم المحتويات النفسية والذهنية، أي الانتقال من العلامة إلى المحتوى القصدي.
- العلاقة بين Hermeneia وInterpretatio هي عكسية (الذهاب من الداخل إلى الخارج بالنسبة للإجراء الأول، والذهاب من الخارج إلى الداخل بالنسبة للإجراء الثاني)، لكنها عينها من حيث الكشف عن فكرة أو دلالة أو محتوى ذهني.

خَصَائِصُ التَّأوِيل

- **التعبير**، ويخص الكلام أو النطق، أي اللغة عموماً.
- **التفسير** ويخصُّ البيان والإيضاح.
- **الترجمة** وهي الوساطة والاستبدال والتعويض.
- عندما نقول أوَّل، فإنَّا نأخذ في الحسبان هذه الخصائص في التعبير عن محتوى ذهني أو قصدي ما، نفسّره بأن نُبيّن طبيعته وقيمته، وأخيراً نترجمه بأن ننقله من المحتوى النفسي إلى المحتوى الموضوعي: مثلاً، تأويل ملامح الوجه على أنها دليل غضب أو فرح أو حزن حسب السياق أو المؤثِّر.
- نستعين في التأويل بأدوات لغوية وبرهانية وأسلوبية. من هنا، كانت **الهيرمينوطيقا**، بما هي نظرية التأويل، عبارة عن **«فن»** (technè)، أي تقنية أو وسيلة في استجلاء المقاصد (المحتوى النفسي، المضمون الدلالي للنص، إلخ).

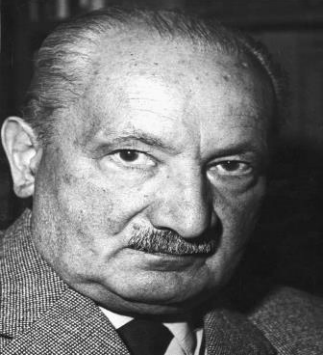

المحطّات التّاريخيّة وَالفِكْرِيّة للتّأويليّة أو الهِيرْمِينُوطِيقَا

- **التأويلية الكلاسيكية = هيرمينوطيقا النصوص:** فن تفسير النصوص وكانت وثيقة الارتباط بالعلوم الدينية واللاهوتية بتفسير النصوص المقدسة وترجمة معانيها، وبالعلوم القانونية والفيلولوجية. كانت مجرَّد معرفة مساعدة تمدُّ التفسير بالإجراءات النحوية والبلاغية والمنطقية من أجل تأويلٍ أمثل للنص الديني أو القانوني. كانت تأويلية معيارية.
- **التأويلية الحديثة = هيرمينوطيقا المنهج:** استقلت التأويلية نسبياً عن العلوم الأخرى وانتقلت من المعرفة المساعدة للعلوم الأخرى إلى علم قائم بذاته له قواعد وإجراءات. أصبح الفهم إحدى هذه القواعد الأساسية للتأويلية في معرفة مثلى للنصوص والوقائع التاريخية، في الوقت نفسه معرفة ذاتية ومعرفة موضوعية بالفصل بين العلوم الطبيعية وأداتها التفسير، والعلوم الإنسانية والتاريخية وأداتها الفهم.
- **التأويلية المعاصرة = هيرمينوطيقا كونية:** انتقلت التأويلية من محض التصوُّر المعرفي-الابستمولوجي الذي لم يفلح في إلحاق العلوم الإنسانية بموضوعية العلوم الطبيعية والتجريبية، نحو التصوُّر الأنطولوجي وهو الفهم الذاتي للإنسان كائناً-في-العالم، ومن بين رواده هايدغر وغادامير: الانتقال من تفسير النصوص إلى فهم الكينونة.

الفَهْم

- بالارتقاء بالتأويلية إلى البُعد العالمي في فهم النصوص والوقائع، والوجود الإنساني بالذات، لم يعد **الفهم** مسألة إدراك نفسي، بل أضحى مسألة إدراك العلوم الإنسانية والتاريخية لذاتها، من وحي اشتغالها على ذاتها، وإدراك الإنسان لشرطه الوجودي.
- **الفهم** هو القُدرة على الإحاطة بالذات أو الوجود الذي ننتمي إليه من أجل تحسين مستمر لهذا الشرط الذاتي والوجودي والذي يمرُّ عبر الاستعداد والزيادة في المعرفة والقيمة.
- **الفهم** أقرب إلى الاستعداد في مجابهة وضعيات وجودية منه استيعاب قضايا أو التقاط معلومات. فهو يُجنِّد كينونة الإنسان في رمَّتها. إنه مسألة نباهة ويقظة.
- إذا كان **الفهم** ينتهي بإدراك المعنى (معنى الحياة)، فإن هذا الإجراء يتعدَّى محض المعرفة كحساب أو تفسير نحو المعرفة كاختبار أو تجريب، أي ذوق وتجربة. بإدراك النظام الداخلي للذات أو لأشياء العالم، فإن الفهم يختبر شيئاً من قبيل الحدس وليس فقط شيئاً من قبيل الحس أو الإحساس.